STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY
PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179
www.san.khu.ac.ir

Analyzing Najib Mahfouz's Abd al-Aqdar novel with the approach of modern historicism

Farzaneh Vaezi[1], Enayatullah Fatehinejad[2], Seyed Babak Farzaneh[3]*

Abstract

In the late of 20th centuries, based on the ideas of an American thinker, Steven Greenbelt, term of the new historicism was formed against the traditional one. In the new historicism, literary texts can be interpretable as historical texts, and if history is a kind of narrative, then narratives are the same kind of historical texts, hence it is referred to history text and text history. In modern historicism, there is no boundary between history and literature, and reader can re-read the texts to discover the hidden layers behind the original text. Sometimes factors such as political and social restrictions prevent the author's discourses related to the power structure by denying the freedom of his expression openly and force him to use another way to express his intentions. Najib Mahfouz, who was in this situation, chose the code language to express the truths of society and strengthen the spirit of anti-colonialism and fight against the authoritarian policies of the rulers, in order to fulfill his mission in the form of historical narratives. In his novel "Aabaso Al-Aqdar", he used the ancient history of Egypt as a pretext to express nationalist and libertarian and anti-colonial ideas. In this article, we intend to disclose the real text of "Aabaso Al-Aqdar", and the age author's unsaid discourses by the new historicism approach.

Keywords: New Historicism, Najib Mahfouz, Aabaso Al-Aqdar.

[1] Ph.D. student of Arabic language and literature, Department of Research Sciences, Islamic Azad University, Tehran, Iran**,** *Email: Abualir44@gmail.com*
[2] Coresponding Author Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Central Tehran Branch, Islamic Azad University, Tehran, Iran..
Email: akramhabibi453@yahoo.com
[3] Professor, Department of Arabic Language and Literature, Science and Research Unit, Islamic Azad University, Tehran, Iran. *Email: dr.farzaneh@gmail.com*

© The Author(s).
Publisher: Faculty of Literature & Humanities, University of Kharazmi and Iranian Association of Arabic Language & Literature.

Winter (2024) Vol 5, No11, pp. 135-152
Received: 19/11/2023 Accepted: 17/1/2024

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

فصلية دراسات في السردانية العربية
الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٧٧٤٠-٢٦٧٦
الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٠١٧٩-٢٧١٧

مقالة علمية محكمة

تحليل رواية «عبث الأقدار» لنجيب محفوظ في ضوء نظرية التاريخانية الجديدة

فرزانه واعظی[١]، عنایت الله فاتحی نژاد*[٢]، سید بابک فرزانه[٣]

تاريخ الوصول: ٢٠٢٣/١١/١٩ تاريخ القبول: ٢٠٢٤/١/١٧

الملخص

منذ أواخر القرن العشرين ظهر مصطلح التاريخانية الجديدة على أساس آراء المفكر الأمريكي ستيفن غرينبلت و كردة فعل مقابل التاريخانية التقليدية. يرى أتباع هذه النظرية أن النصوص الأدبية تقبل التأويل شأنها شأن النصوص التاريخية أي إذا كان التاريخ باعتباره ضرباً من الرواية فإن الروايات تعتبر نوعاً من النصوص التاريخية ولذلك جاء الاعتقاد عندهم بنصية التاريخ و تاريخية النص و على ذلك لايوجد هناك حدّ بين التاريخ و الأدب ومن خلال قراءة النصوص الأدبية بإمكان القارئ الحصول على معلومات تاريخية قيمة تكمن ضمن سياق النص. و إتّباعاً للمنهج الوصفي- التحليلي، قام مؤلفو هذه المقاله بدراسة تحليلية لرواية «عبث الأقدار» لكشف الستار عن الجوانب التاريخية و الاجتماعية و الخطابات من التاريخ والخطابات السائدة في عصر المؤلف. وفقا لنتائج البحث، فقد عرض نجيب محفوظ الخطابات والتوترات الفكرية والمواجهات الاجتماعية للمجتمع في العقود الوسطى من القرن العشرين من خلال إعادة خلق قصص تاريخية فرعونية في هذه الرواية، ويمكن القول أن العمل هو النتاج المعاكس لخطابات مثل إنكار المصير، وتعزيز روح النضال ومعارضة الاستبداد، وانعكاس الأصوات القومية، والمواجهة بين الأفكار الاستعمارية والمناهضة للاستعمار.

الكلمات الدليلة: التاريخانية الجديدة، نجيب محفوظ، عبث الأقدار، الرواية التاريخية.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

[١] طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقيقات، طهران- إيران
البريد الالكتروني: farzaneh.vaezi124@gmail.com :
[٢] أستاذ مشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقيقات، طهران- إيران (الكاتب المسؤل)
البريد الالكتروني: fatehieenayat@gmail.com
[٣] أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة آزاد الإسلامية، فرع علوم و تحقيقات، طهران- إيران
البريد الالكتروني: dr.farzaneh@gmail.com

الشتاء (٢٠٢٤م) السنة الخامسة، العدد ١١ ، صص. ١٣٥-١٥٢

الناشر: © جامعة الخوارزمی والجمعية الايرانية للغة العربية و آدابها.
حقوق التأليف والنشر© المؤلفون

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

١. المقدّمة

ظهرت التاريخانية الجديدة كنظرية أدبية لأول مرة في أواخر القرن العشرين على أساس آراء و أعمال ستيفن جرينبلت وبمثابة ردة فعل ضد التاريخانية التقليدية. ووفقا لاعتقاد هذا المنظّر الأمريكي، ينبغي اعتبار التاريخانية الحديثة كنوع أدبي من قراءة النصوص وتحليلها و ليست مدرسة في النقد الأدبي مثل المدرسة الواقعية الرومنطيقية وإلخ. هذا المنهج يقوم من خلال تسليط الضوء على الروايات التاريخية المكبوتة للفئات الهامشية، بإعادة النظر للنصوص التاريخية السائدة أو النصوص الأدبية المكتوبة في ذلک العصر، لتكشف ما اختفى تحت النص الأصلي (تايسن، ٢٠٠٧: ٤٦٨). بعبارة أخرى يؤكد هذا المنهج في النقد الأدبي على «تاريخية النص ونصيّة التاريخ» ويعتقد التاريخيون الجدُد أنه لا فرق بين النصوص أكانت تاريخية أم أدبية و إذا كانت النصوص التاريخية و شروحها ضرباً من أقسام الرواية فإن الروايات تكون بدورها نوعاً من النصوص التاريخية ؛ و على هذا الأساس ، يمكن فهم بعض القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية في عصر المؤلف التي ظلّت مختفية في طيات النص و مابين السطور بالاعتماد على قراءة النص من جديد و بمنتهى الدقة إلى جانب اتخاذ الطريقة الصحيحة فيها (مونتروز، ١٩٨٩: ١٧). كما يقول فاولز، فإن تكوين كل نص أو رواية يأتي في ضوء هدف محدد و مرتبة خاصة كما تكون بنية النص انعكاساً للظروف التي عاشها المؤلف و متأثرة بالخطابات السائدة في عصره (ميلاني، ١٣٨٥: ١٠٤) . و لذلك فإن كل رواية تروي قصة من الماضي والتاريخ بطريقة مختلفة لا تتبع القواعد والضوابط المتعارف عليها و بشكل واضح.

حظي نجيب محفوظ بشهرة كبيرة و مكانة سامية في الرواية العربية المعاصرة دون أدنى شك كما كان مهتماً بقضايا وأحداث سياسية واجتماعية في المجتمع المصري و العربي حيث تطرق في رواياته إلى القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها مصر، كما كشف عن التوترات والمواجهات الخطابية والسياسية في نصوصه السردية اللامعة، و كرّس أولى نشاطاته الكتابية لتأليف عدد من الروايات التاريخية (وهي عبث الأقدار، رادوبيس، كفاح طيبة)؛ ورغم أنها تتسم بالسمات التاريخية لكنها تتميز بخصائص و ضوابط الكتابات الروائية متضمنة خيال المؤلف ومواصفات التحليل السردي و لذلك ليس من شأنها أن تعتبر نصوصاً تاريخية بحتة . و ما حريّ بالذكر أن روايات نجيب محفوظ التاريخية شأنها شأن أي عمل روائي،ليست بمنأى عما يعيشه المجتمع من الأحداث و الظروف الخاصه به و لذلك كان نجيب محفوظ في خضمّ ظروف تاريخية متأزمة قرّر أن يتخذ أسلوباً سردياً خاصاً به في تأليف رواياته و هو الأسلوب التاريخي المتجذر في عصر الفراعنة . إذن تهدف هذه المقالة إلى دراسة إحدى روايات نجيب محفوظ التاريخية المسماة بـ «عبث الأقدار» (نشرت عام ١٩٣٩) دراسة تحليلية معتمدة علي نظرية التاريخانية الحديثة. تعود أحداث الرواية إلى عصرالفراعنة و بناء الأهرام إلا أنها وفي طياتها ترمز إلى الخطابات الغائبة والمقموعة في عصر المؤلف، و يتمكن القارئ من خلال التركيز على النص و بذكائه و قراءته الدقيقة أن يكشف ما يكمن وراء النص مما انتقده المؤلف من المشاكل السياسية و الاجتمائية و الثقافية التي تعانيها الشعب المصري. و لذلك قام نجيب محفوظ بميوله التحررية وأفكاره المناهضة للاستعمار والاستبداد بكتابة رواية «عبث الأقدار» تحت ظروف سياسية شديدة التازم ، و إنه بسبب القيود السياسية والاجتماعية والخطابات المهيمنة المدعومة من جانب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

السلطة الحاكمة لم يكن قادراً على التعبير عن آرائه بشكل واضح، لذلك كان عليه أن يستخدم أسلوباً آخر للتعبير عما في ضميره و خفايا نفسه فاضطر استخدام لغة في الروايات التاريخية لإخفاء رسالته الرئيسية بين سطور النص. و على هذا يقوم بسرد قصة بناء الأهرامات المصرية ليعالج المشاكل والأزمات المصرية والسائدة في مجتمعه. ولذلك يتطرق هذا المقال إلى الإجابة عن السؤالين التاليين :

١. ما العلاقة بين رواية عبث الأقدر والقضايا التاريخية في عصر المؤلف؟

٢. أي نوع من الخطابات والمستويات الفكرية في رواية عبث الأقدار يكون مؤثراً أو فعالاً في تكوين الأثر وإنشائه؟

١-١. خلفية البحث

خلال الأعوام الأخيرة خضعت نظرية التاريخانية الجديدة للبحث و الدراسة ضمن مقالات و كتب و علي نطاق محدود منها :كتاب عباس ميلاني (٢٠٠١) بالفارسية بعنوان« تجدد و تجدد ستيزى در ايران» [= الحداثة و معارضتها في إيران]، و المؤلف في كتابه لا يستخدم أسلوب التأريخانية الحديثة بشكل مباشر ومنهجي غير آنه استخدم منهجاً جديداً في تحليل النصوص الفارسية القيمة بما فيها تاريخ بيهقي، أسرار التوحيد ،كلستان سعدي و ما شابهها لكشف الستار عن السردية التاريخية و التوجهات الفكرية التي تكمن في خفايا النصوص . يصرح ميلاني في معرض حديثه عن النصوص التاريخية و تحليلها قائلاً : إذا ما أردنا استنطاق النصوص القديمة — حسب تعبيره – لكشف التوجهات الفكرية و الخطابات السائدة المختفية فيها والنفوذ إلى بواطنها و فهم بنيتها و لغتها فهماً دقيقاً فعلينا التخلص من قيود التقليدية كما ينبغي لنا الابتعاد عن قيود الغرب و التغرب و اتخاذ منهج جديد في تفسير النصوص و إعادة قرأتها.

و يليه حسين بايندە حيث كتب مقالاً قيماً بالفارسيةعنوانه « خوانش متن به شيوه تاريخ گرايان نوين» [= قراءة النص على طريقة التاريخانية الجديدة] قام المؤلف فيه بدراسة و تحليل رواية سووشون للكاتبة سيمين دانشور بالاعتماد على منهج التاريخانية الجديدة ؛ و بعد تعريفه بالأسس النظرية لهذه النظرية، قدم المؤلف قراءته من هذه الرواية و التي تتضمن تحليل الخطابات السائدة أثناء احتلال إيران خلال الحرب العالمية الثانية و بالتركيز على « ثورة سميرم» في الثلاثينيات من القرن الحاضر و مدى أصداء ها في رواية سوشون.

و هناك مقالة أخرى بقلم بهزاد بركات ومعصوم تكلو (٢٠١٧)، بعنوان «إنها تسعى جاهدة من أجل عرقها: دراسة الأيديولوجية العنصرية في رواية جين آير من منظور التاريخانية الحديثة»، حاول الدارسان فحص رواية شارلوت برونتي لجين آير باعتبارها رواية إنجليزية قياسية يحاول في منتصف القرن التاسع عشر أن يبيّن كيف وإلى أي مدى يجد خطاب القوة المهيمنة في العصر الفيكتوري، على الرغم من معارضة الرواية الواضحة ضد العنصرية وآلياتها، نجد أنها ترسخت إلى نص الرواية وأثبت نفسه على تكوين البنية السردية.

إن البحوث الأدبية والدراسات الثقافية في العالم الغربي المبنية على التاريخانية الحديثة، باعتبار أن الغربيين هم المبدعون والمطوّرون لهذا المنهج، بدأت منذ البداية، أي أواخر الثمانينات، ومن الطبيعي أن يكون نطاق البحث هناك واسعاً جداً.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

على سبيل المثال يمكن ذكر ما يلي: مقالة (١٩٨٩) التاريخانية الجديدة ودراسة الأدب الألماني، بقلم أنطون كيس؛ تتضمن هذه المقالة الافتراضات النظرية للتاريخانية الجديدة واختلافها مع التاريخانية التقليدية وشرح خلفية ظهور هذه النظرية كما يناقش قيمة التاريخانية الجديدة لدراسة الأدب الألماني الذي يتجاوز حدود التخصصات ويضع موضوع دراسته في مجموعة من الخطابات الثقافية والتاريخية.

و اما التاريخانية الجديدة عند أدباء العرب فإنها لم تقع موضع اهتمام بالغ إلا أن بعض الباحثين في إيران اهتموا بها و ألفوا مقالات عنها باللغة العربية . من المقالات المكتوبة في هذا المجال يمكن الإشارة إلى مقالة لإبراهيم حسني وجواد يعقوبي درابي بعنوان «قراءة تاريخانية جديدة للمسرحيات الشعرية العربية المعاصرة؛ مصرع كليوباترا نموذجا»، و هي نشرت باللغة العربية في مجلة إضاءات نقدية بجامعة كرج، يتضمن المقال دراسة و تحليل مسرحية مصرع كليوباترا من أعمال الشاعر و الكاتب المسرحي الشهير أحمد شوقي ، استنادا إلى منهج التاريخية الحديثة، إلا أن المقال في تحليل المسرحية اتخذ طريقاً خاطئاً حيث تطرق إلى الموضوع حسب نظرية الجينولوجيا لفوكو أكثر من أن يكون قائماً على أساس أراء التاريخانية الجديدة.

و الدراسة الأخيرة مقالة بعنوان «مفهوم التاريخ وتجلياته في رواية عبث الأقدار لنجيب محفوظ» (١٣٩٥) للسيد مهدي مسبوق وشهرام دلشاد. تطرق فيها الباحثان إلى التغيّرات التي أحدثها المؤلف في متن السرد التاريخي، و هي متمثلة في التغييرات الأدبية والتخييلية والتعامل مع الهوامش والشمولية حيث أن النص التاريخ لايحتوي عليها. لكن الجديد في مقالتنا هذه أنها تدرس رواية عبث الأقدار اعتمادا على المنهج التاريخانية الحديثة وتكتشف ارتباطها بالاتجاهات التاريخية والخطابية في عصر المؤلف. إذن تعتبر مقالة جديدة لم يبحثها باحث حتى الآن.

٢. الإطار النظري لنظرية التاريخانية الجديدة

إن التاريخانية الجديدة من أحدث المذاهب النقدية في حقول الدراسة المتداخلة وهي تتعارض مع التاريخانية التقليدية التي يقع النص فيها في الدرجة الأولى من الأهمية و يليه التاريخ كخلفية لها، بينما يكون النص في التاريخانية الجديدة ذا تأثير أكثر في كشف السرديات و يقع في بطن الأنسجة الثقافية. و حسب أتباع التاريخانية الجديدة يتزامن تكوين المعتقدات و الإيدئولوجيات مع ظهور الخبرات الجماعية في النظم الثقافية؛ بينما يرى أتباع التاريخانية التقليدية أن التاريخ عبارة عن انعكاس الأحداث الحقيقية بشكل دقيق ويقوم المورخ بتصويرها كما كانت.و في المقابل يُصَرح في التاريخانية الجديدة بأن من قاموا بتسجيل التاريخ ظلوا متأثرين بميولهم الشخصية و توجهاتهم الخاصة بهم في تفسير الأحداث دون أن يكونوا محايدين غيرمنحازين في ذلك (بريسلر، ٢٠١٦: ١٠). و حسب هذه النظرية ما هو موضع الاهتمام ليس الأحداث التاريخية بمثابة الأحداث بل المهم هو طرق تفسيرها إلى جانب السرديات التاريخية و طرق رؤية العالم و وجوه المعنى و لذلك لاتعتبر الوقائع و الأحداث حقائق للتسجيل و إنما هي نصوص للقراءة (تايسن، ٢٠٠٧: ٤٩١). من وجهة نظر فوكو ليس التاريخ إلا شكلاً من أشكال السلطة و لذلك للوصول إلى معرفته لابد من دراسة السرديات التاريخية جنباً إلى جنب العلاقات

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

المتبادلة بينها و بين أركان السلطة و علاقتها بالأفعال غير الخطابية(بازلر، ٢٠٠٧: ٢٤٩(.

يهتم أتباع التاريخانية الحديثة بالتأثيرات الاجتماعية والأيديولوجية للمعنى وكيفية تشكيله في النص، ويقدمون قراءات من النصوص الأدبية بشكل عام تتعارض مع وجهات النظر غير التاريخية و التي تقوم على أساس النقد التقليدي القائم على النص ، و في ضوء هذا المنهج يتم تفسير النصوص بالاعتماد على المنهجية التاريخية و في بيئة ثقافية تم تكوينها (إدغار، ١٣٨٧: ٩١) . و في التاريخانية الجديدة جرى الاعتقاد بأن الأدب يتم تهميشه في ضوء التاريخانية التقليدية و لذلك يكون التأكيد على الاحتفاظ بالنص الأدبي في إطار بلازمان و ماوراء التاريخ. بناء على ذلك فإن النصوص الأدبية ليست أشياء فنية قائمة بالذات تتجاوز زمان ومكان كتابتها، بل هي نتاجات ثقافية تعرض الخطابات المتداولة وقت كتابتها وهي إحدى من هذه الخطابات أو آلياتها على الأقل (تايسن، ٢٠١٧: ٤٨٥) ، و إن معالجة واكتشاف هذه العلاقات بين الأعمال الأدبية والموضوعات التاريخية هي أهم مهمة للتاريخانية الحديثة.

٣. نبذة عن الرواية

رواية عبث الأقدار إحدى الروايات الهامة التاريخية لنجيب محفوظ. كما يتبين من عنوان القصة فإن القدر هو المضمون الرئيسي للرواية. استلهم المؤلف من قصة النبي موسى (ع) حينما تركت أمه الطفل في النهر أو البحر حتى نشأ وترعرع في بلاط فرعون، و في الصفحات الأولى من الرواية نرى أن الكاهن حين تفسيره رؤى فرعون الأعظم خوفو يتكهن أن طفلاً سيولد نفس اليوم و هو سيتولى عرش مصر بعده؛ فيجهز فرعون بعد ذلك جنوداً إلى ولايات مختلفة من بلده ويأمرهم بأن يقتلوا كل طفل يولد في ذلك اليوم. في هذه الأثناء، ينجو طفل حديث الميلاد اسمه ددف بصورة خارقة من أيدي الجنود ويتم تربيته على يد وصيفة تدعى زايا؛ فكبر الطفل و انضم إلى جيش فرعون في سن مبكرة، وبما أنه أظهر من شجاعة و إقدام في الحروب، زادت سلطته تدريجياً و يوماً بعد يوم من خلال كسب ثقة القادة والحاشية حتى عيّنه فرعون رئيساً للوزراء ومستشاراً خاصاً وموثوقاً به ، و لم يلبث حتى يزوجه فرعون ابنته. و في نهاية المطاف و بعد كشف الستار عن مؤامرة قام بها ابن فرعون و ولي عهده مما أدى إلى مقتله يختاره فرعون خليفة له و بذلك يتولى ددف عرش مصر العظيم.

٤. البحث والدراسة

يتناول هذا القسم من المقالة تفاعل ثلاثة عناصر مهمة في الرواية، أي الشخصية والأحداث والخطاب، و الظروف التي عاشها المؤلف و مصر في أواسط القرن العشرين.

٤.١ التفاعل بين شخصيات الرواية والسلُطات في عصر المؤلف

في التاريخانية الحديثة تعتبر الشخصية نوعاً من الرمز، و من العناصر والمكوّنات الرئيسية للسرد، و بدون توظيف الشخصية

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

يستحيل تكوين قصة أو رواية. فالشخصية في الأعمال الروائية الواقعية تعبر بطريقة أو بأخرى عن أفكار وهواجس المؤلف وأفعاله و ردودها (تادية، ١٣٧٧: ١٠١؛ زرافا: ١٣٨٦: ١٨٢). و في الواقع، من خلال دراسة هذه الشخصية يمكن التعرف على الفاعلين والممثلين والسلطات الأساسيين في الحقول السياسية والاجتماعية للمجتمع، وتعتبر شخصيات الرواية بمثابة رموز أو إمكانيات للدخول إلى العالم الحقيقي. وفي قراءتنا لـ«عبث الأقدار» لانرمي إلى إثبات حقيقة الأحداث التاريخية في فترة تخلصت مصر من هيمنة الحكم العثماني وشهدت حربين عالميتين؛ و إنما القصد منها تبيين نوعية توظيف الشخصيات في الرواية لكي تظهر للقارئ حقيقة المجتمع المصري في عصره الحاضر حيث اتخذ المؤلف من الشخصيات التاريخية و حوادثها في عصر الفراعنة وسيلة للتعبير عن آرائه و توجهاته و مواقفه مما يجري في المجتمع و في أرض الواقع. و إن معظم الشخصيات في رواية «عبث الأقدار» هي شخصيات ثابتة تمثل كل منها دورها و أدائها كما حددتها الأقدار و كما خلقتها قوة خيال المؤلف و هي التي تسوق الشخصيات إلى المحطة النهائية للرواية. و مايجدر ذكره أن كل هذه الشخصيات، سواء فرعون خوفو وابنه رعخعوف، اللذين يبدو أنهما يناضلان القدر، أو الشخصيات الأخرى في الرواية، مثل ددف وزايا، اللذين يتصرفان كأداة في يد القدر منذ البداية، جميعها يسير في هذا الاتجاه. ولا شك أن محفوظ يحاول إيصال رسالة للأمة المصرية من خلال هذه الشخصيات والأحداث في القصة، و هي أن كل شخصية من شخصيات القصة تمثل جانبا من خصائص الشعب المصري وأحواله السياسية و الاجتماعية. و من وجهة نظر المؤلف أن فرعون خوفو في عبث الأقدار يعتبر من ناحية رمزاً للديكتاتورية والطغيان، ومن ناحية أخرى رمزاً لسلطة ومجد مصر، والرسالة الرئيسية للرواية تتمثل فيما يلي : كما تخلى فرعون في نهاية القصة عن السلطة و فوّضها لددف (رمز الحرية)، فمن المؤمل أن يفسح الحكام المستبدون المجال يوماً لتحقيق إرادة الشعب من أجل الحفاظ على سلطة مصر واستقلالها وعظمتها لكي يتحول الاستبداد والنرجسية والدكتاتورية إلى الحرية والديمقراطية. وفي الواقع فإن انتصار ددف النهائي على خوفو يظهر انتصار فكر المؤلف المناهض للسلطوية أمام روحه القومية.

إن «دَدَف» طفل رضيع ينقذه القدر ويتم هذا الانقاذ على يد «زايا» (رمز الشعب المصري) من أيدي عملاء فرعون الذين يحاولون قتله، ويتولى أخيراً مصير الشعب المصري، فهو رمز الحرية و الديمقراطية ومنقِذُ الشعب المصري؛ وكأنّ المؤلف يريد أن يغرس في ذهن القارئ أن الأمة المصرية أمامها طريق طويل وعر قبل تحقق الحرية والتحرر من قيود الاستبداد و الاستعمار و إن الحرية في مصر كطفل يحتاج إلى اهتمام ورعاية ويتمنى أن يكبر يوماً وينقذ شعب مصر من الظلم والطغيان والأنظمة الديكتاتورية، ومهما كانت قوة الطغاة والحكام المستبدين، فسوف يركعون أمام إرادة الشعب ؛ و إن الحرية ستحُلّ محل الاستبداد و الديكتاتورية لا محالة. و أما زايا فهي جارية والدة ددف في رواية «عبث الأقدار» واسمها «رده ديديت»، هذه الجارية هي التي تنتزع الطفلة من براثن عملاء فرعون، وترعرع ددف بين ذراعيها وفي حضنها. إنها رمز الشعب المصري، و كما هي تهتم برعاية ددف و تدعمه بشجاعها و تضحيتها ليكون منقذاً لمصر و شعبها كذلك يجب على الشعب المصري أن يقدم التضحية والإيثار في طريق الحرية حتى ينعم و يتمتع بثمارها ونتائجها.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

يَعكس نجيب محفوظ الأحوال الاجتماعية والثقافية والسياسية لعصره في رواية «عبث الأقدار»، ويعبّر عن تفسيراته وأفكاره التي تنطلق من الخطاب القومي والنضال من أجل نيل الحرية والمقاومة ضد سياسات حكام مصر المستبدين من خلال لغة الشخصيات التاريخية في القصة، أي أن المؤلف سعى أن يرسم الشخصيات والمشاهد السردية في عمله مستعيناً بتاريخ مصر القديم الذي يشكل الفخر والعزّ جزءاً من الخطاب القومي، بما يتناسب مع الظروف وأجواء المجتمع الذي يعيش فيه، و أن تكون هي جزءاً من نفس العصر التاريخي الجديد، حتى يتمكن القارئ من خلال هذه الرواية التقمص بزي المناضلين ويعتبر نفسه أحداً منهم يناضل معهم جنباً إلى جنب.

٢.٤ التفاعل بين أحداث الرواية والوقائع في عصر المؤلف

إلى جانب الشخصيات التي تعد إحداهما رمزاً للاستبداد والأخرى رمزاً للديمقراطية، فإن أحداث القصة ومغامراتها تتأثر أيضاً بعصر المؤلف وتتزوّد القارئ البصير ببيانات وقرائن تاريخية قيّمة حيث رواية عبث الأقدار تكون دمجاً ومزيجاً بين عنصري القصة والتاريخ، لأن المؤلف روى أجزاء من تاريخ مصر في شكل القصص والحكايات. و في الروايات التاريخية «يصف المؤلف أحداث الماضي، و يتبع أنماط السرد في رواية التاريخ، واليوم لا يصف المؤلف الأحداث فحسب بل يخلقها ويضيفها خيالاً» (بي¬نياز، ١٣٩٠: ١١). و على هذا الاساس إن رواية عبث الأقدار تمثل المجتمع المصري في منتصف القرن العشرين.

عندما تتوحد الظروف والقيود السياسية والاجتماعية والثقافية، وكذلك الخطابات أو التيارات الفكرية السائدة والمؤيدة لركائز السلطة لكي تسلب من الكاتب حريةَ التعبير، فإن الروائيَ المتورط في هذه الدائرة المغلقة يفقدُ القدرة على الكلام والتعبير عن أفكاره وهواجسه بحرية و بشكل صريح و بالتالي على القارئ أن يكشف ما يعنيه المؤلف من خلال التدقيق في النص وإعادة قراءته. و حسب التاريخانية الحديثة يكون فهم النص رهن مواقف المؤلف وروايته من التاريخ و الأحوال الثقافية والاجتماعية والخطابات الموجودة في النص. لهذا تكون رواية «عبث الأقدار» بمثابة إعادة لسردية نجيب محفوظ لتاريخ عصره وأحواله الاجتماعية والثقافية، وهي في الواقع قراءة نصية لخطابات مختلفة وعلاقات السلطة والاستماع إلى الأصوات الصامتة إلى جانب الأصوات المهيمنة. و إن الصور التي يعرضها المؤلف من وصف ظلم فرعون وطغيانه وشدائد ومعاناة العبيد هي في الواقع سرده للظلم والمصاعب والحرمان الذي يعاني منه الشعب المصري في منتصف القرن العشرين وهم دخلوا تحت قيود العبودية بسبب السياسات والإستراتيجيات الخاطئة المختلفة. فمنذ بداية القصة يحاول نجيب محفوظ أن يوجه ذهن القارئ نحو المقارنة بين عصر الفراعنة و عصره و ذلك من خلال استخدام الكناية والرمز بصورة فنية و لكي يحرك المشاعر الوطنية التي ثارت في نفوس الشعب المصري خاصة بعد ثورة ١٩١٩م. ولذلك فإن بعض الفروق الدقيقة والنقاط الصغيرة في سياق نص «عبث الأقدار» تشير إلى الظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية في زمن المؤلف.

ومن السمات التاريخية المهمة في الرواية هي انعكاس أرستقراطية الحكام في عصر المؤلف. و في بداية رواية «عبث

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

الأقدار» يصف المؤلف روعة قصر فرعون الذي يطلّ على حديقة شديدة الخضرة مترامية الأطراف و بوصفه الخدم و الجواري و حواشي الملك و جمال قصره الفخم ينوي تصوير مظاهر الأرستقراطية ليدفع أذهان الجمهور على الفور إلى لمقارنة بين فرعون وملوك عصره، وخاصة الملك فاروق. و من الانتقادات التي ظل المجتمع المصري في منتصف القرن العشرين يوجهها للحكومة والحكام هو الصراع الطبقي الذي يفصل طبقة النبلاء وخاصة رجال البلاط عن بقية أفراد المجتمع، و في حين كان الكثير من الناس يعانون من الفقر والضنك بات رجال البلاط و ذوو النفوذ يعيشون في دعة و رفاهية وراحة تامة في القصور الفخمة الرائعة. و هذه المعاناة و الفوارق الاجتماعية بما فيها الفقر و البؤس انعكست أيضا في مؤلفات بعض المعاصرين لنجيب محفوظ نحو مصطفى المنفلوطي الذي تناولها ضمن قصصه الروائية (عصفور ٢٠١٠: ١٣) و لكن نجيب محفوظ اتخذ اسلوب الرمز و استخدام التاريخ الفرعوني لإظهار الارستقراطية السائدة و نقدها من خلال وصفه قصر فرعون كرمز الأرستقراطية، و تصوير مشاهد من العمال الذين يشتغلون بشق الصخور تحت أشعة الشمس الحارقة و حملهم الأحجار الكبيرة والثقيلة لبناء هرم فرعون (العمال رمز للطبقات السفلى في المجتمع)، و بذلك صور المولف الصراع الطبقي الموجود ونمطية حياة مصريين مختلفين كما يلي:

«جلس صاحب العظمة الإلهية والهيبة الربانية خوفو بن خنوم، على أريكته الذهبية بشرفة مخدعة التي تطلّ على حديقة قصره المترامية الغنّا.....كان يقلّب عينيه الثاقبتين بين أبنائه وصحابته ويرسل بناظريه إلى الأمام حيث يغيب الأفق خلف رءوس النخيل والأشجار أو ينحرف بها ذات اليمين فيشهد عن بعد ذلک الهضبة الخالدة التي يرقب مشرقها أبوالهول العظيم، ويسكن وجوفها رفات الآباء والأجداد، ويملأ سطحها مئات الألوف من الخلق يزيلون كثبانها ويشقّون صخورها ويحفرون الأساس الهائل لهرم فرعون..» (محفوظ، ١٩٩٠: ١).

وفي الواقع، يعتزم نجيب محفوظ تجسيد ملك مصر فاروق كفرعون معاصر من خلال سرد مغامرات تاريخية موازية لأحداث معاصرة، ويجسّد أحد زعماء مصر و من أنصار الوطنية في قالب شخصية ددف، أحد قادة فرعون ومنقذ مصر القديمة ليلمح إلى قيام شخصية معاصرة من جنسه في عصره الحاضر. و من خلال ذلك يحاول الكاتب إبداء نيته و رسالته التي هي رغبة قلبه، فنقلها على هذا النحو: « مثلما سلّم فرعون السلطة إلى ددف، يجب على الملك فاروق أيضاً أن يتخلى عن الحكومة لإنقاذ البلاد لكي ينتقل الأمر والحكم إلى أحد القادة الوطنيين الذي تثق به أغلبية الشعب» (ماني ألفيسي، ٢٠٠٤: ٧٦) وبهذه الطريقة يحذّر نجيب محفوظ الملك فاروق من أن حكمه لن يدوم و أن القدر أو لعبة القدر هي التي ستحدد مستقبلاً مختلفاً له وللأمة المصرية. و هنا يبدو أن راوي القصة أخذ يلعب دور الساحر الذي تكهن في بداية الرواية بزوال حكم فرعون و سلطته وشيكاً رغم تجبره و قوته و كبريائه، فهو كمتكهن عاد في نهاية القصة ليذكّر الملک الفاروق أنه ليس له مستقبل ونهاية سعيدة إلا إذا استقال من العرش بالاستسلام للقدر وتفويض الحكم و السلطة لمن يعرف إدارة البلاط معتمداً علي سياسات حكيمة.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

٣.٤ التفاعل بين الخطابات الموجودة في الرواية مع الخطابات السائدة في عصر المؤلف

من خلال دراسة مستفيضة مبنية على التاريخانية الجديدة بإمكاننا كشف بعض الخطابات المعاصرة في الأثر وهذه الخطابات لها مساهمة كبيرة في تكوين العمل الروائي و سرده. فنتناول ثلاثة محاور من هذا التفاعل كالتالي:

١.٣.٤ تقديس الحكام وتقديم فكرة «ظل الله»

في رواية عبث الأقدار يمثل الحكام المستبدين السلطويين القوة المطلقة و ما يسبب تعزيز سلطويتهم و هيمنتهم هو خطاب أنصارهم و دعاتهم الذين يروجون فكرة مشية الله في اختيار الحكام بحيث يناشدون بأن تفوق الحكام في السلطة و تفضيلهم أمر إلهي و الله تعالى هو الذي فوض إليهم الحكم وحكام مصر في ذلك الوقت، مثل كل المستبدين، يعتبرون أنفسهم أصحاب السلطة المطلقة الإلهية وليسوا مسؤولين أمام أحد. وقد أظهر نجيب محفوظ هذه السمة التي كان يتسم بها حكام ذلك العصر في عبارات يقولها أحد رجال البلاط موجهة إلى فرعون كالتالي:

«لَقَدْ وُلِّيتَ اَلْحُكْمَ بِمَشِيئَةِ اَلْآلِهَةِ لا بإرَادةِ إنسَانٍ و لَكَ أنْ تَحكُمَ النَّاسَ كَيفَ تَشاءُ و لاتُسْأَلُ عَمّا تَفْعلُ» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٤٥).

و في فقرة أخرى و في حوار يجري بين فرعون و الكاهن يأتي أن الآلهة نفخت أرواحها في جسد فرعون و من خلالها يشير إلى فكرة التقديس و ألوهية الحكام و الحكومات الاستبدادية المدعومة من قبل مجموعات مرتبطة بالحكومة، ويعتبرها محفوظ مشكلة وفكرة تؤدي إلى خلق الأرضية للاستبداد والديكتاتورية و قمع الأصوات المختلفة:

«إنَّها تَختارُهُم مِن بَينِ أبناءِها وَ تَبعَثُ فيهم رُوحَها الألهيّ لِيُصلِحوا البلادَ وَ يُسعِدوا العِبادَ» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٥٥).

و بإيراد هذه العبارات يطرح المؤلف مفهوم ظل الله المذكور في الإسلام، أو دم الله الذي كان شائعاً في الحكم الساساني أو الحكومات القديمة، المفهوم الذي يتوسل إليها الحكام المستبدون لإستمرار سلطتهم و لإضفاء طابع شرعي قدسي على أنفسهم تحت شعار أن الله تعالى هو الذي أعطاهم السلطة و منحهم القداسة بنفخ روحه فيهم و بهذه الذريعة و في الدفاع عن الحكومات الاستبدادية يستخدم أصحاب السلطة جميع الإمكانيات و السرديات لخلق خطاب واحد و لترسيخه في الأذهان و للقضاء علي كل فكرة معارضة لاتتوافق مع ذلك الخطاب المختلق و اعتبار كل الخطابات المغايرة له شذوذاً و تصرفاً مضرّاً خاطئاً (نجوميان ١٣٩١، ١٥). و لمنح الحكام استمرار سلطتهم تتوحد التيارات المرتبطة بالسلطة والخطاب السائد، و علي رأسها دعاة الدين لتشويه الحقيقة و قلب الأعراف إلى الشذوذ و الشذوذ إلى الأعراف، و لذلك تحاول أركان السلطة إلي ترسيخ هذه الفكرة في الأذهان أن الشعب من واجبه أن يكون في خدمة مصالح الحكام و ليس الحكام في خدمة مصالح الشعب ، لأن أصحاب السلطة لايقيمون أدنى وزن للشعب و مصيره ، و في ضوء هذه الفكرة كل فرد و حتى كل شيء يجب أن يكون تحت أمرهم ساعياً وراء الاحتفاظ بنظام حكمهم و دعم سلطتهم و من شأنه أن يبذل حياته في هذا الطريق :

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

«مَن الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَبْذُلَ حَياتَهُ، الشّعبُ لِفِرْعَونَ؟ أَمْ فِرعَونُ لِشَّعبِهِ» (المصدر نفسه، ١٤٥)

و لأن الحكام هم أمناء الشعب، وكلامهم حكمة إلهية، وطاعتهم عبادة « ...رأيي حكمة إلهية و طاعتي عبادة» (المصدر نفسه: ١٤٤) فإن الحكومة هي وديعة أعطاها لهم الله وهم يحاولون حماية هذه الأمانة الإلهية الموكلة إليهم والدفاع عنها. وبالإضافة إلى ما سبق، يتناول نجيب محفوظ هذه المسألة في مواضع أخرى:

«إنَّ ما يَنبغِي لِفرعونَ نَحوَ عَرشِه هُوَ ما يَنبغى لِلانسانِ الأَمينِ نَحوَ وَديعَة الّآلهَةَ المكرَمين بَينَ يَديِه» (المصدر نفسه، ١٤٨).

ومن وجهة نظر المؤلف فإن شخصية حكام مصر هي مزيج من الفراعنة المصريين والخلفاء والسلاطين العثمانيين، ولذلك لا يصف تفاصيل خوفو الجسدية والعقلية، و ما يلقي الضوء عليه و يصفه بشكل بارز للغاية هو السمات التي يشاركها جميع الحكام المستبدين أي النرجسية و الغطرسة (طه بدر، دون¬تا: ١٤٢-١٤٣) و بذلك و من وراء خلق صورة ذهنية تاريخية من العصر الفرعوني يرمي المؤلف إلى توجيه الأذهان نحو حكام عصره.

يتحدى نجيب محفوظ من خلال هذه الفقرات اليدئولوجية السائدة في عصره المتمثلة في ألوهية الحكام و يري أن أركان السلطة تقوم بتكميم الأفواه و تكبيت الأصوات المخالفة بذريعة شذوذها و ذلك من وراء ترويج الاعتقاد بأن الحاكم هو خليفة الله في الأرض و من عاداه فهو يعادي الله . و بما أن المؤلف ينزع إلى التيارات الموالية للوطنية المصرية و بطبيعة الحال تتعارض مواقفه مع الخطاب السائد و تكون آراؤه و أفكاره جزءاً من الخطاب الغائب و الأصوات المكبوتة ،فإنه يتخذ من الرواية التاريخية أداة ليرفع صوته ضد سلطة المستبدين و لكي يلحق هزيمة بالخطاب السائد و يكشف شذوذه و غير عرفيته.

وتعد شخصية خوفو في رواية «عبث الأقدار» رمزا للخطاب السائد في عصر المؤلف و الذي يمثل الطبقة الحاكمة التي تلجأ إلى أي وسيلة للحفاظ على أسس حكومتها وتدمير كل ما يهدد عرشه. و تظهر هذه الفكرة بوضوح في عبارات من الرواية كما يلي:«ينبغى لفرعون ان يهلک من يهدد عرشه» (محفوظ، ١٩٩٠: ١٥٦). إن أداة السلطة في الحكومات الاستبدادية تسعى دائماً وراء تبرير ظلم الحكام وتمجيد أعمالهم االسيئة كما تخدع الشعب بأن وراء كل قبيح صادر عن الحاكم أو الملك حكمة و مصلحة يجهلها الشعب كما قال فرعون حين قتل ذلك الرضيع:

«فعال الملوک کفعال الآلهة قد تلبس رداء الوحشية و لکنها في جوهرها کلمة سامية» (المصدر نفسه، ١٥٩)

يشير المؤلف في ثنايا وطيّات النص إلى سمة أخرى للحكومات الاستبدادية في مصر، وهي أن كل حاكم مستبد متغطرس إلى جانب ما يفرض على الشعب من الظلم و التعذيب و في حين سلب منهم الإرادة و الحرية فإنه يمنّ على الشعب بأنه كرّس حياته و حياة أهله لخدمة الناس و هو الذي يتحمل مسؤولية الملايين منهم و يحمل وحده هذا العبء الثقيل لتحقيق راحتهم ، و بهذه المخادعة يسد عليهم باب الشكوى و الاعتراض ، كما نقرأ في الرواية :

«کُلُّ مِصرىٍّ يَسعَى فى الحَياةِ لِنفسِهِ أو لِأُسرَتِهِ أمّا فِرعونُ فَيَنهَضُ بِحملِ أَعباءِ الملايين...» (المصدر نفسه، ١٥٥).

الحقيقة أن فرعون يعتبر نفسه خليفة الله في الأرض و يرى أن ما يفعله من الأعمال يوافق الحق تماماً مدعوماً من جانب

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

الله فلا يصدر منه إلا ما ينفع الناس و لذلك يمنّ عليهم لكي يكونوا شاكرين له . فإن المؤلف من وراء هذه الكلمات ينوي إظهار وجهة نظره بأن فكرة تقديس الحكام كانت و لا تزال سائدة في المجتمات الشرقية ، فإنه باتخاذه جوانب من حياة فرعون و إطلاق الضوء على العصر فرعوني لايهدف رواية قصة قديمة لاترتبط بالقضايا المعاصرة و إنما هو يروي بشكل رمزي قصة حياة المصرين في عصره.

٢.٣.٤ خمود الشعب و اللامبالاة في مواجهة الإستبداد

حسب رأي نجيب محفوظ فإن جزءاً كبيراً من معاناة الشعب و مشاكلهم يتمثل في الخطاب السائد في المجتمع المصري حيث جعلهم يعيشون في الخمود و عدم الاكتراث بما يقضي في المجتمع ، كما يرى أن الحكام و أذنابهم أخضعوا جماعة من فئات المجتمع باستخدام القوة و العنف و فرض سياساتهم السلطوية عليهم و فئات أخرى بالاستعباد و من خلال التضليل و التمسك بالغوغائية مستغلين بالجهل و الأميّة الفاشية . و بذلك و في ظل مثل هذه السياسات يستمر نظام الحكم الديكتاتوري. و ما يعرضه المؤلف في وصف الأهرام و بنائها ليس إلا مشهداً رمزياً حيّاً من استسلام الشعب تجاه الحكام و ممارساتهم القمعية و سياساتهم السلطوية، و بذلك يعرّض الشعب لنقد لاذع بسبب خمودهم و عدم إكتراثهم بقضايا المجتمع و مصيرهم ، فمنهم من خضع للذل و العبودية خوفاً ، و منهم من اختار التقاعد و عدم الوقوف بوجه المستبدين الظلمة جهلاً ، و هذا الأخير لا يقوم بأي نشاط ضد السلطة الحاكمة ، بل و هو يشعر بالسعادة و الرضى في حياته .و تظهر هذه الفكرة في مقطع من الرواية و في الحوار بين شخصيتي القصة، فرعون وميرابو، المهندس العظيم في بلاطه ويقول:

«فَمَا الَّذِي تَظُنُّ أَنَّهُ يَلْزِمَهُمْ طَاعَتِي وَ يَصْبِرُهُمْ عَلَي أَهْوَالِ الْعَمَلِ؟ اَلْعُمَّالِ يَا مَوْلاي طائفتانِ طائفة اَلْأُسْرِي وَ اَلْمُسْتَوْطِنِينَ وَ هؤلاءِ لاَ يَدْرُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ وَ يَرُوحُونَ وَ يَغْدُونَ بِلاَ شُعُورٍ سَامٍ كَمَا يَدُورُ الثَّوْرُ حَوْلَ السَّاقِيَةِ وَ لَولَا قَسْوَةُ اَلْعَصَا وَ يَقَظَةُ اَلْجُنْدِ مَا وَقَفْنَا لَهُمْ عَلَي أَثَر...»؛ (محفوظ، ١٩٩٠: ١٤٥).

وبحسب نظر نجيب محفوظ، فإن المجموعة الثانية تلعب دائما دوراً أكثر فعالية لبقاء الحكومات الدكتاتورية، لأن المجموعة الأولى سوف تتمرد على الحكام بمجرد إزالة أدوات الضغط والقوة، و أما الفئة الثانية فإنها تتحمل مهما كانت الصعوبات و الضغوط دون إبداء أي استياء أو اعتراض إزاء الظروف السيئة في حياتها و على العكس إنها تشعر بالسعادة و الرضى لأنها تعتبر المصاعب تقديراً إلهياً و ترى تحملها نوعاً من العبادة و القيام بالواجب الشرعي. و لذلك لايشعر الحكام بأي قلق من جانبها لأنهم على وعي بأنها لا و لن تشكل خطراً عليهم و إنما هي تسبب استمرارية سلطتهم و تعزيزها .

و على ذلك نرى أن المؤلف بخلقه هذه القصة التاريخية يعدف إلى طرح قضايا حديثة يعاني منها عالم اليوم و يرى أن الخمود و التواني و عدم مبالاة الشعوب بما يفرض عليهم النظم الاستبدادية من أهم أسباب استمرار الحكومات الديكتاتورية.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

٣.٣.٤ الصراع بين التقدير والسلطة

ومن الخطابات التكوينية الأخرى في رواية «عبث الأقدار» المواجهة والتقابل والتوتر بين التقدير و مظاهر السلطة و باعتبارها نمطاً بدائياً هاماً على حد تعبير يونغ، (يونغ، ١٣٦٨: ٨٩) و الذي لعب دوراً هاماً في خلق رواية نجيب محفوظ حيث اختار عنوان الرواية بالاعتماد على هذا النمط و بمنتهى الذكاء. و مما لا شك فيه آن عنوان الأثرتمنح النص هويته و إطاره الخاص و له اهمية خاصة في جذب الأنظار و لهذا يسعى المؤلف ليعنون تأليفه في غاية الدقة (حمادوي، ١٩٩٧: ٤٦)، فالعنوان باعتباره أحد عناصر النص و أول كلمة رئيسية له يعبرعن أفكار المؤلف و آرائه كما يحمل في طياته الرسالة الأصلية للنص و العنوان الدقيق الشيّق يثير انتباه القارئ و اشتياقه لقراءة النص و متابعته (رحيم، ٢٠١٠: ٣٢٢) عنوان رواية محفوظ أي عبث الأقدار يدل على أن المؤلف يعتقد بأن النظام الديكتاتوري المتعسف في مصر سينقرض في نهاية المطاف و سوف تحل الحرية و الديمقراطية محله و كأنه حتمية تاريخية و نوع من لعب الأقدار ، و المؤلف باختياره هذا العنوان يسير من بدء القصة في مسار الهدف الرئيس للنص و يسايره القارئ في هذا المشوار.

رواية «عبث الأقدار» تدور أحداثها حول الصراع بين التقدير وإرادة الإنسان و قدرته و حتمية القضاء والقدر، وتسلسل القصة وأحداثها من البداية إلى النهاية يكون تخطيطها و نوعية سردها بشكل يرسخ في ذهن القارئ أن جميع أجزاء القصة بما فيها العناصر و الشخصيات توحدت لكي يتحقق تكهن الساحر المبني علي انقراض سلطة فرعون و عائلته . و المؤلف بخلقه هذه الرواية يتبع هدفين أساسيين : أولاً يعرض المجتمع و الشعب المصريين للانتقاد بسبب الخمود و عدم المبالاة بما يحدث في المجتمع و إهمالهم في تقرير مصيرهم ؛ ثانياً يبذل غاية جهده في تحريضهم لبذل مساعيهم في سبيل الحرية و مكافحة الاستبداد و إيجاد التغيير في الظروف و الأحوال السياسية و الاجتماعية الراهنة كما يركز سعيه علي توعية الشعب و تنوير اذهانهم و إثارةروح النضال والوقوف ضد الحكام المستبدين (دراج، ٢٠٠٤: ١٣٧). وفي الصفحات الأخيرة من الرواية و لتبيين موضوع التقدير و لعب الأقدار نقرأ ما يتفوه به فرعون كما يلي:

حَدَث مُنْذُ نَيِّفٍ وعِشْرِينَ عَاماً أنْ أعلَنَتْ عَلَيَّ اَلْأَقْدَارُ حَرْباً شَعْواءَ تَحَدَّيتُ بِهَا إِرَادَةَ اَلآلِهَةِ فَجَرَّدْتُ جَيْشاً صَغِيراً سِرْتُ عَلَى رَأْسِهِ بنَفْسِي لِقِتَالِ طِفْلٍ رَضِيعٍ وَكانَ كُلُّ شَيْءٍ يَبْدُو لِي كَأَنَّهُ يَسِيرُ وِفْقَ مَشيئَتِي فَلَم يُزْعِجنِي دَاعٍ مِنْ دَوَاعِي الشَّكِّ قطُّ وظَنَنْتُ أَنِّي نَفَذْتُ إِرَادَتِي وأَعْلَيْت كَلِمَتِي وإِذَا بِالْحَقِيقَةِ الْيَوْمَ تَهزَأ بِطُمَأْنِينَتِي وإِذَا بِالرَّبِّ يَصْفَعُ كِبْرِيَائِي وهَا أَنْتُمْ أُولاَء تَرَوْنَ كَيْفَ أنيَ أجزي طِفْلَ رَعَ عَلَى قَتْلِهِ وَلِي عَهْدِي بِاخْتِيارِه خَلَفاً لِي عَلَى عَرْشِ مِصْرَ فَمَا أَعْجَبَ هذا أَيُّهَا اَلنَّاس!(نجيب محفوظ، ١٩٩٠: ٢٢٥).

تتمثل الرسالة الرئيسية و النهائية للقصة في اعتقاد المؤلف بأن انهيار السلطات التعسفية أمر حتمي حسب جبر التاريخ و لعب التقدير، و إذا قدّرت الأقدار إنقاذ ددف ذلك الطفل الرضيع من براثن فرعون و جنوده لكي يعتلي عرش مصر كخليفة لفرعون و بذلك تغير مصير المصريين القدماء ، فإن الحرية سوف تحل محل الديكتاتورية و الحكومات المستبدة في مصر ، لا بحكم القضاء و القدر و إنما بإرادة الشعب . (الشطي، ٢٠٠٤: ٣٧). لأن اللجوء إلى التقدير و التمسك

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

بالتأويلات السماوية لحفظ نظام الحكم و إبقائه أمر عبث لا طائل وراءه ، و سوف ينتصر الشعب على القدر بالاعتماد علي إرادته و قدراته الذاتية . و كان نجيب محفوظ واقفاً على شيوع الاعتقاد بالقضاء و القدر بين الشارع المصري و مدى تجذّره في أذهان الناس على مرّ الزمن و لذلك ينظر إليه باعتباره خطاباً سلبياً مثيراً الأزمات ومانعاً تجاه النضال في سبيل تحقيق الحرية. و على هذا الأساس منذ بداية القصة حتى نهايتها ظل يتحدى هذا المعتقد.

نتائج البحث

استخدم نجيب محفوظ تاريخ مصر القديم والأحداث المتعلقة بعصر الفراعنة كأداة للتعبير عن آرائه وأفكاره بسبب القيود والموانع السياسية والاجتماعية والثقافية، وسيطرة الخطابات المهيمنة المتعلقة ببنية السلطة والتيارات الحاكمة في في روايته الرائعة «عبث الأقدار». وفي هذه الرواية جعل المؤلف فرعون رمزا لحكام مصر المستبدين المعاصرين وجعل ددف، الطفل الذي نجا من عملاء فرعون وجيوشه وجلس في النهاية على العرش بدلا من فرعون، رمزاً لتحرير المصريين ونجاتهم وحريتهم حتى نجا الشعب المصري من هيمنة الحكام وسلطتهم الدائم. الناس لقد سئموا من الحكام المستبدين والحكومات المتضررة غير المفيدة ويأملون الحرية والنجاة والكاتب يعطي الأمل بأنهم إذا استمروا في النضال والسعي لتحقيق مطالبهم التحررية سيبلغوا المقصود؛ فإن الملك فاروق أو أي حاكم طاغية آخر سيضطر في النهاية إلى اعتناق الحرية واستسلام لمطالبهم ويؤدي هذا التيّار إلى تسليم الحكومة لشخص أو حركة حرة راغبة وموثوقة من قبل الشعب.

ورغم أن رواية «عبث الأقدار» لنجيب محفوظ تعد رواية تاريخية ونتاج فترة خاصة من أسلوبه أي فترة الكتابة التاريخية للمؤلف، إلا أنها ذات تفاعل فعال من حيث الشخصيات والأحداث والخطابات بمؤسساتها المتساوية في المجتمع. إن وجود شخصيات موازية من الشخصيات المستبدة والشخصيات الطالبة للحرية دفع القارئ إلى تجسيد الواقع الموجود خلال هذه الثنائية. إن أحداث الرواية الخيالية مثل قصر الحكام والأشخاص المرتبطين به ونظرة غير صالحة إلى المواطنين و والإساءة إليهم واعتبارهم كالعبيد تكون مرتبطة بالأحداث الراهنة. في المستوى الخطابي، إن قضية تقديس الحكام والاستبداد المتجذر في مصر، وخضوع الناس وانفعالعم وتراخيهم في مواجهة الاستبداد، والصراع مع القدر أو الاستسلام له، هي أهم الخطابات المشتركة في المجتمع المصري. محفوظ في عمله التاريخي حسب الظواهر السردية، يزود القارئ بهذه المعلومات التاريخية الجديدة في إطار التاريخانية الحديثة ويقدم صورة واضحة عن الأحداث وأسباب الأحداث التي شهدتها مصر في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين خلال قالب سردي قديم.

المصادر

- إدغار، أندرو (١٣٨٧) المفاهيم الأساسية للنظرية الثقافية، ترجمه: مهران مهاجر، محمد نابوفي، طهران: آكه.
- بريسلر، تشارلز (٢٠١٦). مقدمة إلى نظريات وأساليب النقد الأدبي. ترجمه: مصطفى عابدين¬فر. طهران: نيلوفر

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

- بایندە، حسین (۲۰۱۷). النظرية والنقد الأدبي (كتاب تعليمي متعدد التخصصات). طهران: سمت
- بی‌نیاز، فتح الله (۲۰۱۰) في عالم الروايات الحداثية، طهران: افراز، الطبعة الأولى.
- تاديه، جان إيف (۱۳۷۷). مقدمة في علم اجتماع الأدب (مجموعة مقالات). ترجمة» محمد جعفر بوينده. طهران: نقش جهان.
- تايسن، لوئيس (۱۳۸۷)، نظريات النقد الأدبي المعاصر، ترجمة: مازيار حسن زاده وفاطمة حسيني، طهران: نكاه امروز
- الحمداوي، جميل (۱۹۹۷)، السيموطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، العدد ۱۳، ص ٤٥-٤٧.
- دراج، فيصل؛ (۲۰۰٤) الرواية و تأويل التاريخ، بيروت: المركز الثقافى العربى.
- رحيم، عبدالقادر (۲۰۱۰): علم العنوية دراسة تطبيقية. دمشق: دارالتكوين للتأليف و الترجمة و النشر.
- زرافة، ميشيل (۲۰۱٦). سوسيولوجيا الرواية والأدب الروائي والواقع الاجتماعي، ترجمة نسرين برويني، طهران: سخن
- الشطى، سليمان (۲۰۰٤) الرمز و الرمزية فى ادب نجيب محفوظ، قاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- طه بدر، عبدالحسين، (دون‌تا)، نجيب محفوظ الروية و الاداة. القاهرة: دارالمعارف
- عصفور، جابر، (۲۰۱۰) ، نجيب محفوظ الرمز و القيمة، جاوزة القذافى العالمية للآداب، القاهره: دارالشروق
- محفوظ، نجيب، (۱۹۹۰)، المولفات الكاملة، بيروت: مكتبة لبنان؛ الطبعة الاولى
- منيع القيسى،عودة الله، (۲۰۰٤)، نجيب محفوظ نماذج الشخصيات المكررة و دلالتها فى رواياته. الاردن: دارالیازوری العلمية
- مهاجر، مهران، ومحمد النبوي. (دون‌تا). نحو لسانيات الشعر: نهج قائم على تيار اللسانية الوظيفية. طهران: مركز
- المهنا، عبداله بن محمدبن ناصر (۱۹۹٦). دراسة المضون الروائى فى اولاد حارتنا لنجيب محفوظ. الرياض: دار علم الكتب.
- ميلاني، عباس (۱۳۸۷). الحداثة ومعاداة الحداثة في إيران. طهران: أختران، الطبعة السابعة
- نقاش، رجا (۱۹۹٥). فى حب نجيب محفوظ. القاهرة: دار الشروق.
- يونغ، كارل غوستاف، (۱۳٦۸)، أربعة وجوه مثالية، ترجمة بروين فرامرزى ، مشهد: آستان قدس.

References

- Al-Muhanna, Abdulah bin Muhammad bin Nasser (1996), A Study of the Narrative Plague in Children of Our Alley by Naguib Mahfouz. Riyadh: Dar Alam Al-Kitab.
- Al-Qaisi, Audat Allah (2004), Naguib Mahfouz: Repetitive Character Models

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

and Their Significance in His Novels. Jordan: Dar al-Yazouriya al-Ilmiya.

- Al-Shatti, Sulaiman (2004), Symbol and Symbolism in Naguib Mahfouz's Literature, Cairo: Egyptian General Authority for Books.
- Asfour, Jaber (2010), Naguib Mahfouz: Symbol and Value, The Global Gaddafi Prize for Literature.
- Biniaz, Fathollah (2011), In the World of Modernist Novel, Tehran: Afrāz, First Edition.
- Bressler, Charles (2017), An Introduction to Literary Criticism and Theories. Translated by Mostafa Abedinifar. Tehran: Niloufar.
- Duraaj, Faisal (2004), Novel and Interpretation of History, Beirut: Arab Cultural Center.
- Edgar, Andrew (2008), Basic Concepts of Cultural Theory, Tehran: Mehran Mahajar, Mohammad Nabavi, Tehran: Agah.
- Hamdawi, Jameel (1997), Music and Annotation, World of Thought Magazine, Issue 13, pp. 45-47.
- Jung, Carl Gustav (1989), Four Archetypal Patterns. Translated by Parvin Framarzi, Mashhad: Astan Ghods.
- Mahfouz, Naguib (1990), Complete Works, First Edition: Library of Lebanon.
- Milani, Abbas (2008), Renewal and Opposition in Iran. Vol. 7. Tehran: Akhtaran.
- Montrose, Louis A. "Professing the Renaissance: The Poetics and Politics of Culture," in the New Historicism, Ed. by H. Aram Veescr. New York, 1989. PP.
- Naqash, Raja (1995), In Love with Naguib Mahfouz. Cairo: Dar al-Shorouk.
- Nejumian, Amir Ali (2006), History, Language, and Narrative. Research Journal of Humanities, No. 52, pp. 305-318.

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

- Payandeh, Hossein (2018), Literary Theory and Criticism in Interdisciplinary Textbook. Tehran: Samt.
- Rahim, Abdul Qadir (2010): Narratology: An Applied Study. Damascus: Dar al-Takwin for Authoring, Translation, and Publishing.
- Tadié, Jean-Yves (1998), An Introduction to Literary Sociology (Collection of Articles). Translated by Mohammad Jafar Pooyandeh. Tehran: Naghsh-e Jahan.
- Taha Badr, Abdul Hussein (n.d.), Naguib Mahfouz: The Novel and the Tool. Cairo: Dar al-Ma'arif.
- Tyson, Lois (2008), Contemporary Literary Criticism Theories. Translated by Maziyar Hassanzadeh and Fatemeh Hosseini. Tehran: Negah-e Emrooz and Hekayat-e Ghalam-e Novin.
- Zarafa, Michel (2007), Socioliterary Sociology of Fiction and Novel and Social Reality, Translated by Nasrin Parvini, Tehran: Sokhan.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]

فصلنامه مطالعات روایت‌شناسی عربی
شاپا چاپی: ۷۷۴۰-۲۶۷۶ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷

واکاوی رمان عبث الأقدار با رویکرد تاریخ‌گرایی نو

فرزانه واعظی[۱]، عنایت الله فاتحی نژاد*[۲]، سید بابک فرزانه[۳]

تاریخ پذیرش: ۱۴۰۲/۱۰/۲۷
تاریخ دریافت: ۱۴۰۲/۰۸/۲۸

چکیده

در اواخرقرن بیستم اصطلاح تاریخ‌گرایی نو در مقابل تاریخ‌گرایی سنتی بر اساس نظریات اندیشمند آمریکایی استیون گرینبلت شکل گرفت، سپس توسط افرادی چون لویی مانتروز نظریه¬پردازی و توسعه یافت. در تاریخ‌گرایی نوین متون ادبی همچون متون تاریخی قابل تفسیرند و اگر تاریخ نوعی روایت است، روایت¬ها و آثار ادبی هم گونه‌ای متون تاریخی‌اند، از این رو از آن به متنیت تاریخ و تاریخیت متن یاد می‌شود. در تاریخ‌گرایی نوین میان تاریخ و ادبیات مرزی نیست و خواننده می‌تواند با خوانش دقیق متون ادبی، داده¬های تاریخی ارزشمندی در لایه¬های زیرین متن بدست آورد. این مقاله با استفاده از رویکرد توصیفی – تحلیلی به واکاوی رمان عبث¬الأقدار پرداخته است تا وجوه مغفول تاریخی و گفتمان¬های مسلط عصر نویسنده را کشف و بررسی کند. مطابق با یافته¬های پژوهش، نجیب محفوظ در این رمان با بازآفرینی قصه¬ای تاریخی – فرعونی گفتمان¬ها، تنش¬های فکری و تقابل¬های اجتماعی جامعه دهه¬های میانه قرن بیستم منعکس کرده است و می¬توان گفت که اثر محصول مخالف گفتمان¬هایی نظیر نفی تقدیر، تقویت روحیه مبارزه و ستیز با استبداد، بازتاب صداهای ملی¬گرایانه، تقابل میان اندیشه¬های استعماری واستعمارستیزی است.

کلمات کلیدی: تاریخ‌گرایی نوین، نجیب محفوظ، عبث الاقدار، مناسبات قدرت و گفتمان.

[۱] دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم تحقیقات، تهران، ایران،
ایمیل: farzaneh.vaezi124@gmail.com
[۲] نویسنده مسؤل، دانشیار، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد تهران مرکز، ، تهران، ایران،
ایمیل: fatehieenayat@gmail.com
[۳] استاد، گروه زبان و ادبیات عربی، دانشگاه آزاد اسلامی، واحد علوم و تحقیقات، تهران ، ایران،
ایمیل: dr.farzaneh@gmail.com

ناشر: دانشگاه خوارزمی با همکاری انجمن ایرانی زبان وادبیات عربی
حق مولف© نویسندگان

[Downloaded from san.khu.ac.ir on 2024-08-06]